

## الحضارات القديمة تُغري الأدباء بحكايات تفيض تسامحا

الروائي المصري حسين عبد البصير: إحياء الماضي ضرورة إبداعية



يعود الكثير من الروائيين العرب اليوم إلى كتابة روايات تاريخية، تستلهم التاريخ، وتحاول إعادة استنطاقه. لكن هذه العودة محفوفة بالكثير من المنزلقات، لعل أهمها الاشتغال على الفترات نفسها، الإسلامية أو الاستعمارية، والسقوط في تكرار الماضي دون وعي. "العرب" كان لها هذا الحوار مع الروائي المصري حسين عبد البصير حول الرواية التاريخية وملاحها.

مصطفى عبيد  
كاتب مصري

يفتح التاريخ نوافذ متنوعة ومثيرة يطل منها محبو السرد المتابعة وقائع مدهشة وجذابة ومعيشتها، باعتبارها تصلح خلفيات رئيسية في أعمال جديدة تحاول كسر المعتاد ورسم مسارات أرحب ل طرح إبداعات لافتة.

وتغري الحضارات القديمة أجيالا من الأدباء في العالم العربي يبحثون عن مساحات جديدة للتألق، وتثير قائع وحكايات عن الحضارة المصرية، أو العراقية، شجون بعض المبدعين ليمارسوا التجريب باستقراء أزمنة وتوظيفها فنيا في روايات جديدة. ويُعد الروائي المصري حسين عبد البصير أحد النماذج اللافتة في هذا الشأن، إذ مارس الإبداع الروائي مستلهما تاريخ الحضارة المصرية، وقدم عدة أعمال في هذا الشأن، أحدثها رواية "إيبو العظيم" التي صدرت قبل أيام.

### العودة إلى التاريخ

في لقائه مع "العرب"، يكشف عبد البصير أن ثمة استنقاء الحضارات القديمة في المحيط العربي والشرقي

ضرورية لاستلهم قيم التفوق والنظام والرقى الإنساني الفريد وترسيخ مفاهيم السماحة تجاه عصور ما قبل الإسلام.

ويؤكد عبد البصير أن رواية "إيبو العظيم" مشروع إبداعي عاش معه لنحو خمسة عشر عاما، وارتسمت أفكارها في عقله فكان يدونها ثم يقوم كل فترة بإعادة تخطيطها عدة مرات، وفي مرحلة ما شعر بالرضا التام عن النص الذي يقدم خلاصة قيم القدماء في العدالة والشماع وقبول الآخر من خلال حكيمة عظيم اهتم بالعلم واستوعبه وشعر بأهمية غرسه في من حوله، وقرأ كافة النصوص المصرية القديمة التي تم ذكرها في العمل، لذا يشعر البعض بأن لغتها تحاكي اللغة المصرية القديمة.

يشير الروائي في حوار مع "العرب" إلى أن الرواية التاريخية بشكل عام لها مذاقها الخاص الذي يصنع أجواء جميلة

ويُدخل القراء إلى عوالم مثيرة لا توفرها الرواية العادية التي تتناول الواقع الميئس، فضلا عن المعلومات التاريخية التي تقدمها وتسهم في تعريف الجمهور بجوانب قد تكون منسية لديه. ويضيف أن الروايات التاريخية تتضمن الكثير من القيم الجميلة التي يمكن بعثها مرة أخرى عبر تقديم حكايات تستلهم العديد من قيم الماضي البعيد، مثل الحرية والعدالة والجمال والحق والعلم وعشق العمل وتقديسه والتكافل والتراحم وغيرها من القيم العظيمة، فضلا عن إعادة طرح أسئلة وجودية.

وحسين عبد البصير هو عالم آثار مصري، تخرج في كلية الآثار جامعة القاهرة عام 1994، وحصل على الماجستير والدكتوراه في الآثار المصرية من جامعة جونز هوبكنز بالولايات المتحدة، وله عدة روايات تعنى بالحضارة المصرية القديمة، أبرزها "البحث عن خنوم" التي قرأها البعض على الأديب الراحل نجيب محفوظ قبل وفاته وأبدى إعجابها بها.

وصدرت له أيضا رواية "الأحمر العجوز"، و"بلتيمور"، وكتب: "ملكات الفراعنة"، و"أسرار الفرعون العظيم توت عنخ آمون"، و"فيلم "زوسر وإيموتب. فنانة الملك والعقربية". وشغل الرجل عدة مناصب في مجال الآثار وإدارة

## «المنكوس» يطلق حلقاته المباشرة من أبوظبي

أبوظبي - انطلقت مساء أمس الأحد الحلقة المباشرة الأولى من برنامج "المنكوس" في موسمه الثاني، والذي تنظمه لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، في إطار إستراتيجيتها الثقافية الهادفة إلى صون التراث وتعزيز الاهتمام بالأدب والشعر العربي، وذلك في تمام الساعة العاشرة مساء من مسرح شاطئ الراحة بأبوظبي، وعبر قناة بيوتونة والإمارات.

ويبدأ ثمانية عشر متسابقاً مشوارهم في المنافسة على لقب "فارس المنكوس"، الذي يعتبر أول برنامج تلفزيوني متخصص بلحن المنكوس الذي هو أحد الحان الشعر النبطي، وذلك خلال ثمانية حلقات، ستقيم أثنائها لجنة التحكيم المشاركين مستندة إلى جمالية الصوت وقوته وطريقة الأداء وإتقان اللحن وطول النفس، وصولاً إلى الحلقة النهائية التي يعلن فيها الفائز بلقب "فارس المنكوس".

والمشاركين في البرنامج يخوضون غمار هذه المسابقة التراثية عبر مراحل عدة بدءاً من مرحلة تجارب الأداء، وصولاً إلى الحلقات المباشرة، وتختتم بفوز مشترك واحد، ليكون فارس المنكوس.

وقد أعلن البرنامج في وقت سابق عن قائمة الثمانية عشر مشتركاً الذين قابلتهم لجنة تحكيم الموسم الثاني من البرنامج عبر تقنية الاتصال المرئي عن بعد، حيث عقدت لجنة التحكيم اجتماعات مكثفة لتقييم الاختبارات المباشرة واختيار الأفضل وفقاً لمعايير فنية وتقنية دقيقة، ويأتي اختبار المتسابقين في أعقاب اختبارات مباشرة تميّزت بإبداع اللحن وجمال الصوت وروعة الإيقاع. وضمت القائمة مشاركين أغلبهم من السعودية والإمارات وتليهما الكويت واليمن.

## المنكوس

الحلقة المباشرة الأولى من برنامج «المنكوس» على مسرح شاطئ الراحة بأبوظبي تشهد منافسة كبيرة

وقال عيسى سيف المزروعى، نائب رئيس لجنة إدارة المهرجانات والبرامج الثقافية والتراثية بأبوظبي، إن "برنامج المنكوس يأتي انسجاماً مع رؤية اللجنة الرامية إلى صون الموروث الثقافي والمحافظة عليه ونقله إلى الأجيال القادمة".

وأضاف المزروعى أن "البرنامج في موسمه الأول قد حقق نجاحاً كبيراً، وكان انعكاساً مبدعاً للنموذج الحضاري الذي تمثله دولة الإمارات على خارطة الثقافة عالمياً، لاسيما من حيث اهتمامها بالتراث المادي والمعنوي".

كما أتاح الموسم الأول من البرنامج، وفق المزروعى، المجال أمام المتنافسين من مودي لحن المنكوس للظهور إعلامياً، والانطلاق من العاصمة أبوظبي نحو النجومية، فضلاً عن تقديم ثمانية عشر نجماً امتلكوا المهارات



اللجنة أمام اختيارات صعبة

### أجمل ما في التاريخ أنه قصة كاملة

ويرى بعض النقاد أن نصوص عبد البصير السردية تقارب النصوص المصرية القديمة، في الشكل والموضوع دون أن تفقد صلاتها بالواقع. وعلى الرغم من أنها تتحدث عن التاريخ، تلقي الضوء على الحاضر والواقع ومشكلاته التي استمرت من مصر القديمة حتى الآن، وتغلب فكرة الاهتمام بالعدالة والحرية والإيمان بالعلم على الكثير من أعمال الروائي.

### الرواية التاريخية بشكل عام لها مذاقها الخاص الذي يصنع أجواء جميلة، ويدخل القراء إلى عوالم مثيرة

وفوجئ الروائي المصري برود أفعال الجمهور، حيث يتفاعل باهتمام كبير مع الحكايات التاريخية، ويحاول البعض الربط بين الماضي والحاضر من خلال إعادة تأويل النصوص والبحث عن تفاصيل لاورد يتم ذكرها ضمن خلفيات الأعمال الروائية.

وحول المصادر الأساسية التي يمكن للروائي أن يستقي منها خلفياته وسماط عالمه، يقول "هناك مصادر عديدة ومتنوعة، غير أن الأمر قد يكون صعباً بعض الشيء للكاتب غير المتخصص في تاريخ وحضارة وأثار مصر القديمة، لأن الكتابة من مصر القديمة صارت علماً له أصوله، وهناك أعمال لأدباء كبار لكنها تتسم بالتعارض مع حقائق التاريخ و علم الآثار".

وفي الكثير من الأحيان يمكن القول إن التاريخ يعيد نفسه، لكن ليس بنفس الصورة التي حدث بها من قبل، والتاريخ في حد ذاته حدث تم في الماضي. ويؤكد عبد البصير أن "أجمل ما في التاريخ أنه قصة كاملة متكاملة تشكلت بالفعل، ويمكن للروائي مراجعتها واختيار الزاوية التي يريد أن ينظر منها للحدث التاريخي".

من الإقدام على خوض مثل هذا النوع من الكتابة الصعبة، لوجود تصور عام -غير صحيح- يفيد فحواه بأن مجتمع القراءة يفضل الحكى عن الحياة المعاصرة. ومن الملاحظ أن الأدباء المعنيين بالتاريخ غالباً ما يعودون إلى التاريخ الإسلامي وتاريخ فترات الاستعمار تحت تصور وجود محيط مُهمّ بتلك الفترة أوسع وأكبر من دائرة المشتغلين بالحضارات القديمة.

ويوضح أن ذلك ينطوي على قدر من الصحة، لكن تناسي تجاهل حضارات المنطقة ما قبل الإسلام هو تنكر للعلم لا مبرر له، فالتاريخ عموماً يمثل مصدرًا مهمًا للغاية في السرد العربي، وحافل بالكثير من التجارب والعوالم المدهشة التي لا يعرف القراء عنها الكثير.

ويرى أن اختيار الموضوع التاريخي والفترة الزمنية ذو أهمية كبرى في نجاح أي تجربة إبداعية تتخذ من التاريخ مسرحاً لأحداثها، وقد يعيل الروائي إلى الخيال أو يعتمد على الوقائع التاريخية عند تصديده للكتابة عن فترة ما، وهنا يساعده الفهم والإلمام بمفردات الفترة على إنجاز العمل.

ويذكر عبد البصير في حوار مع "العرب" أنه يعيل عادة في أعماله إلى التخيل وإعادة خلق الفترة، غير أنه لا يعتمد على حادثة تاريخية حدثت بالفعل، أو يكتب عن ملك ما كان موجوداً في مصر القديمة، لكنه يعيد خلق مصر القديمة ويبنى عالماً يمكن موجوداً فيها، بشرط ألا يتعارض هذا العالم المصنوع مع أي من مفردات العالم الذي كان. ويعتقد أن هناك فرقا كبيرا بين الأدب والتاريخ، ويجب أن يكون الروائي متسلحاً بالإلمام بالعصر الذي يكتب عنه، أميناً في نقل وقائعه إلينا، واعترف باستفادته الكبيرة من دراسته ومحبته لمصر القديمة وعمله في مجال الآثار، ما أكسبه فهماً ووعياً أكبر بالعالم الذي أبحر بالسرد فيه.

المتاح، وعمل في مكتبة الإسكندرية. يقول الروائي المصري لـ "العرب"، إنه يرى أن إحياء الحضارات القديمة ضرورة إبداعية للاسترشاد بمراحل عظيمة من تاريخ الإنسانية، خاصة أن هناك شغفا حقيقياً حالياً بالماضي، ورغبة في اكتشاف المجهول، والبعد عن الحاضر لتأويل اللحظة الآتية.

ويلفت إلى أن كتب التاريخ الحالية ذات الرؤية التقليدية والنظرة الأكاديمية لا توفر للقارئ المحب للتاريخ المتعة التي توفرها الرواية ذات العوالم السردية المدهشة والجمال الحوارية المثيرة، ويقول في هذا السياق "الغموض الذي يكتنف الحضارات القديمة يسمح بطروحات سردية شديدة العمق".

إذا كان البعض من جيل الرواد -وعلى رأسهم نجيب محفوظ- قد خاضوا تجربة الكتابة الروائية عن مصر القديمة، لكنهم توقفوا فجأة وعادوا إلى الكتابة عن الواقع المعاصر، فإن عبد البصير يُفسر ذلك بأن تيار الواقعية الذي كان يفرض نفسه بقوة في العالم العربي خلال الستينيات والسبعينات دفع جيل الرواد للعودة مرة أخرى إلى الكتابة عن الحياة المعاصرة.

ويتابع قائلاً إن "نجيب محفوظ كتب ثلاث روايات عن مصر القديمة هي: 'زادوبيس' و'كفاح طيبة' و'عبث الأقدار'، ثم انتقل إلى كتابة 'القاهرة الجديدة'، وبقاى روايات مصر المعاصرة، ومع ذلك عاد بعد عدة سنوات إلى التاريخ القديم مرة أخرى في رواية 'العائش في الحقيقة'، ثم حاكم أدبياً حكام مصر منذ الملك مينا إلى الرئيس الراحل أنور السادات في عمله المهم 'أمم العرش'".

### كتابة صعبة

يرجع عبد البصير إجماع الروائيين العرب عن توظيف تراث الحضارات القديمة في أعمالهم الأدبية، إلى الخوف